

الحياة العقلية^(١)

في صدر الثورة العباسية



لأستاذ محمد النعماني

في العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ) ازدهرت الحياة العقلية ازدهاراً كبيراً و تلاقت في الحواضر الاسلامية عتق الثقافات التي تمثل حضارات الامم المربوة في أرضها ، في العلم والثقافة ، كانت الدولة مزيجاً من شعوب كثيرة ، وكان عقلية هذا الشعب الجديد يتجلى عليها أثر الثقافات والوراثات .

كان النفوذ فيه لفرس ، وانتشرت ثقافتهم انتشاراً كبيراً على يد الوزراء وكتّابهم الفارسيين ، ونقل المثقفون من الفرس الدين أجادوا العربية والعرب الذين أتقنوا الفارسية - إلى العربية تراث الفرس لتقديم في الحضارة والثقافة ، وإنتاج الدين أجادوا الفتيين من هؤلاء كان صادراً من عقليتين وثقافتين ؛ وكان رجال العلم في هذا العصر أكثرهم فارسيين ، حتى قال ابن خلدون : إن حلة العلم في الاسلام أكثرهم من المعجم^(٢)

ودخلت الثقافة البيزنطية في هذا العصر أيضاً على الفكر الاسلامي بامتزاج الفيلسوفين في الحياة الاجتماعية وبشجيع الخلفاء لترجمة كتب الطب والنجوم والفلسفة من البيزنطية إلى العربية ؛ وإذا كان خالد بن يزيد م ٨٩ هـ أول من ترجم - أو ترجمت له - كتب النجوم والكتب والكيمياء^(٣) فقد عني المنصور م ١٦٨ هـ بترجمة كتب النجوم والطب والفلسفة وتشجيعها ، ونمت الى امبراطور الدولة الرومانية الشرقية يسأله صلته بما لديه من كتب الفلسفة واستنظارها مهرة الترجمة وتكليفهم لإحكام ترجمتها^(٤) ، بل كان

(١) رواد الحياة العقلية حركة النفس الانسانية في جميع أنواع العلوم والفنون والثقافات والآداب .
(٢) ٥٤٣ مقبرة ابن خلدون (٣) ٢١٣ / البيان والتبيين في حد ٩٧ ؛ فهرست لابن اندلس .
(٣) مقدمة ابن خلدون ، ٥٥ طبقات الامم لصاحب الانباري ، ٢١ تاريخ الحضارة الاسلامية لبارتولد ؛ وراجع حركة الترجمة في (٢٢٩ - ٢٢٣ الادب العباسي لعمود مصطفي ، ١٧٧ وما بعدها و٢٦٤ و٢٦٨ - ٢٧٠ / ١ ضمن الاسلام) .

النصور أول خليفة قرّب المنجيين وترجمت له الكتب من اليونانية والرومية والعبادية
والفارسية والسرانية^(۱) وكذلك فعل الرشيد؛ وقد لما أمرت الرسل إلى بغداد في
استخراج علوم اليونانيين ونسخها بخط العرب بعث المترجمين ذلك^(۲) ونظراً في
بغداد مدرسة لتخرج المترجمين^(۳) وهي مكللة بالحكمة التي بناها الرشيد لترجمة^(۴)،
وإذا كانت الدولة قد قبلت التنايلد الآرامية في أمور الدولة فقد أخذت في ساحة
الحضارة والثقافة أموراً كثيرة من بيزنطة^(۵).

وكذلك اتصلت الثقافة الهندية بالفكر الاسلامي مباشرة وبواسطة الفرس أيضاً؛
أما الأتراك فلم يكن لهم مدينة، وليس لهم ثقافة، وبعد أن تغلبوا العربية لم ينفص منهم
في الأدب والشعر والعلم إلا القليل، كأحمد بن موليون والنسج بن خاقان.

وكان للإسلام فوق ذلك كله ثقافة واسعة في الدين والأفكار والأدب والشعر كانت هي
أهم شيء أثر في الفكر الاسلامي وكانت المورد الأول للناس جميعاً.

نجحت هذه الثقافات في العراق في العصر العباسي الأول، وأحدثت أثرها في العقول
والأفكار، وكان المتكلمون أكبر حامل في امتزاج هذه الثقافات^(۶) صلة بين الفلسفة
اليونانية والادب تقدموا مسانين للأدباء والشعراء لم يكونوا يعرفونهم.

وفي العصر العباسي الثاني (۲۳۲ - ۳۳۴ هـ) زاد امتزاج هذه الثقافات واتصالها،
بتناول الزمن وتلافيع العقول. وظهر آثار حركة الترجمة وتقصيع الخلفاء والوزراء للعلم
والعلماء، فكان هذا العصر أزهى عصور العلم في البلاد الإسلامية.

وكان العصر العباسي الأول تطلب عليه نزعة الاعتزال التي أيدها المأمون بكل
ما يستطيع، ولكن العصر الثاني وهو عصر النفوذ التركي كان مصحوباً بتفاهر جديدة
أهمها إلقاء سلطان المشرك وأعداء شأن المحدثين، فأمر المنكر كل المحدثين بخراب
واضطهد رؤساء المعتزلة، كمحمد بن أبي الليث في مصر وأحمد بن أبي ذؤانف في العراق،
من حيث كرم أحمد بن منبج وسواه من أئمة المحدثين؛ وكان هذا الاتجاه يحنى بشييد
الأتراك ويعملون له^(۷).

وسرأكر الحياة العقلية في العصر الثاني كانت كثيرة ومتعددة، فذسقت الدراسات

(۱) ۲/۴۱ و ما يصف مروج الذهب (۲) ۴۸۰ و ۴۸۱؛ مقدمة ابن خلدون ۱

(۳) ۲۳۰ الادب العباسي لمحمد مصطفى (۴) ۳۸ مروج الحضارة الاسلامية بتارو له

(۵) ۱/۳۸۰ ماضي الاسلام (۶) راجع ۱/۴۱ ظهر الاسلام

السنية والضرورية في مصر، وتفوقت الشام في الشعر والآداب واللغة^(١) وكان للعراق السيادة في العلم والآداب والفلسفة فكانت بغداد والبصرة وحران أهم مراكز العلم والمضارة. فلاحظ والكندي بصريان، والبستاني الرياضي الفيلسوف م ٣١٧ هـ من حران. وكانت بغداد تجذب العلماء إليها من كل أرجاء العالم الإسلامي، واشتهرت ببلغ وخوازم راسخان في ميدان التفكير والثقافة. فنبغ منها أبو زيد البلخي م ٣٣٢ هـ أحد تلاميذ الكندي المشهور وأبو موسى الخوارزمي صاحب المؤلفات القيمة في الجبر الحساب ثم أبو الفرج الاصفهاني مؤلف الأختار وسواهم من العلماء.

وبعد فالعصر العباسي الثاني كان زاخراً بالعلوم، قديمها وحديثها، كما كان حافظاً بالعلماء والمفكرين والفلاسفة - وكانت العلوم المترجمة شرطاً في تكوّن ثقافة الكاتب والأديب، وراج علم النجوم حتى انتشر بين الخاصة وجمهور الناس^(٢) والآداب.

وعلى أي حال فلم تكن مناهج التفكير واحدة عند جميع الناس، وكان الخلاف بين هذه المناهج على أشده في العراق، ويشور ابن قتيبة في مقدمة كتابه «أدب الكاتب» على الحالة في عصره حيث أهمل الناس علوم الدين مع عنايتهم بعلوم الفلسفة والمنطق^(٣) وكانت جماعة الآداب يضجرون من النقائض المترجمة وعلوها، حتى قال ابن المعتز يصف من يؤثروه بعدائته:

فإن تطلبه تقتضيه بحجة	وإلا يستأن وكرم مقلد
ولست تراه سائلاً عن خليفة	ولا قائلاً من يعزولون ومن يعل
ولا سائلاً كالمير في يوم لذة	يناطر في تفضيل عثمان أو علي
ولا حاجاً تقويم شمس وكوكب	ليعرف أخبار العلوم من أسفل
يقوم كحرباء الظهيرة سائلاً	يقلب في اصطرلابه حين أهول
ولكن فما عناه وسره	ومن غير ما يصنيه فهو بحمل

(١) راجع ١ / ٨ البنية لتتاليها ١٧٧ ج ١ وما بعدها ظهر الاسلام.

(٢) — أو اشهر علي بن جوير القارسي — وكان كاتباً يمد يداه في النجوم — بلوغها في شعره (٢٩٣ مجموع الضراء).

(٣) راجع ص ٢ وما بعدها أدب الكاتب بهامش المثل السائر، وكان ابن قتيبة من أهل السنة ومن علماء الدين مع واسع ثقافته البروانية وسواها (راجع ٤٠٢ ج ١ - ٤٠٤ ج ١ ضمن الاسلام).